

الرواية ترتقي إلى مرتبة علم إنساني

روايات ساعدت علم الاجتماع في اقتحام أكثر المناطق عممة



الرواية ترسم ملامح المجتمعات (لوحة للفنان باسم دحدوح)

تعرف كيف تروي حركة الحياة، وانبثاق الطارئ، وكيف تسرد اللاعقلاني والجزئي والحسي والناعم والعرضي، مثلما تعرف كيف تصف خفقان قلب أو ضوع عطر أو همسة عاشق أو خطوة تائهة أو لمعة ضوء على صفحة ماء، حتى غدت، بفضل عنايتها بالتفاصيل، أشبه بموسوعة شاملة عن الواقع.

تعرف كيف تروي حركة الحياة، وانبثاق الطارئ، وكيف تسرد اللاعقلاني والجزئي والحسي والناعم والعرضي، مثلما تعرف كيف تصف خفقان قلب أو ضوع عطر أو همسة عاشق أو خطوة تائهة أو لمعة ضوء على صفحة ماء، حتى غدت، بفضل عنايتها بالتفاصيل، أشبه بموسوعة شاملة عن الواقع.

السرد وعلم الاجتماع

لتلك الأسباب، اكتسبت الرواية دوراً لا غنى عنه لفهم العالم، لاسيما في المجتمعات التي تغطي فيها ثقافة الصورة والأنباء المتواصلة، واحتلت موقعا ينافس العلوم الإنسانية، حتى عدنا بعضهم هي نفسها علما إنسانيا. بل إن عالم الاجتماع الفرنسي جان لوي فابيان يؤكد أن بعض زملائه من علماء الاجتماع والمفكرين استأنسوا بالرواية في مقارباتهم العلمية، فجيل دولوز اتكأ على بروسست، وسارتر استفاد من هكتور مالو، وإدغار موران نهل من دستوفسكي، بينما أقر بيير بورديو أنه استوحى أسلوبه عمداً من كاتبين هما بروسست وفلوبير، لأن "الخطاب المستعمل في دروس

تروي الأشعار القديمة والملاحم والسرديات الأدبية مصائر إنسانية، وتوثق الحياة الاجتماعية في كل عصر، وتقتحم أفضية يعسر الدخول إليها. وإذا صار الشعر في العصر الحاضر تعبيراً عن موقف من الحياة والنفس، وأداة لالتقاط مظاهر الجمال في الكون، فإن الرواية لا تزال منذ نشأتها وثيقة الصلة بالرصد والتوثيق، حتى غدت منافساً جدياً للعلوم الإنسانية.

نشرها ونقدها، فإن الأدب الروائي ظل رافداً مهماً لتلك العلوم، لكونه يستطيع أن يصل بأي مكان، حتى في المجتمعات المغلقة، كما هو الشأن في بلدان المنظومة الشيوعية سابقاً، حيث لم يكن مجال لعلماء الاجتماع غير الاتكاء على الأدب السردي للوقوف على ما يحدث خلف الجدار الحديدي.

ولولا ذلك الأدب لظلت المعطيات عن الأوضاع الاجتماعية والسياسية في تلك الأقطار غائمة، تجريدية، وفي الأقل محل شك واختلاف إذا ظهرت في كتابات بعض المنشقين. فلولا سولجينتسين مثلاً ما عرف العالم ما كان يجري في الاتحاد السوفييتي من جور وعسف، ودوس لحقوق الإنسان وكرامته. وغني عن القول إن هذا البعد التوثيقي ليس مقتصرًا على الماضي أو الأوضاع المعقدة، بل يشمل كل جوانب الحياة، في شتى الظروف البيئية والاجتماعية.

ورغم نزوع الرواية منذ جيمس جويس والرواية الجديدة في فرنسا إلى التجريد والتجريب، فإن أغلب ما ينشر من أدب روائي في العالم لا يزال يعكس واقع المجتمعات التي ينشأ فيها، بشكل يمكن أن نفهم من خلاله، على تنوع منشئيه واختلاف مشاربهم، طبيعة أفرادها وعاداتهم وتقاليدهم والمشاكل التي تشغلهم، وتعرف على بيئتهم ومعالمهم وأقاربهم. ذلك أن الرواية قادرة على النفاذ إلى مختلف طبقات العالم الاجتماعي، تلتقط بصفة حسية تقريباً عناصره ومكوناته، مثلما هي قادرة على استشراف تحولاته، فهي

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

الأدب، يشتق أجناسه، أقدم من علوم الإنسان، وقد مارس عدة وظائف لا تكتف بابتكار الأشكال وحدها، وإنما أيضاً بما يمكن نسبته إلى المعرفة، كقفل ذاكرة مجموعة بشرية، والتعبير عن انسجام ثقافة من الثقافات، فضلاً عن وصف التحولات التي تطرأ على المجتمع عبر تاريخه.

وفي عصرنا الحاضر، صار الأدب، السردي بخاصة، وسيلة للمعرفة والتنمية الذاتية والتفتح، فهو إذ يغوص بنا في عوالم اجتماعية وذهنية، يوسع دائرة فهمنا للتاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس، وينمي فينا طاقنا على التعاطف والتسامح، ويساعدنا على تجاوز أزماتنا بفتح أبواب الحلم على غد أفضل.

النفاذ إلى الأعماق

منذ القرن التاسع عشر نافست الرواية الحالة المدنية، ونفذت إلى الواقع الاجتماعي تحلل مظاهره وأدواءه وتحولاته، وتسبج نفسية أفرادها وتطلعاتهم، وتصور انتصاراتهم وانكساراتهم، بل إنها توقفت أيضاً عند ملامح معمارهم بكثير من الدقة والتفصيل. وحسبنا أن نقراً بلزك أو زولا كي نعرف المجتمع الفرنسي في ذلك القرن، أو نقراً نجيب محفوظ لنعرف القاهرة في مرحلة ما قبل ثورة يوليو وما بعدها. فالأدب الروائي، بهذا المعنى، يظل شكلاً من أشكال التوثيق الاجتماعي لا مثيل له، لأن التخيل لا يلغي قوة الواقع وحضوره، بل ينظمه في شكل حبكة سردية تبرز أهم ما فيه من عناصر قوة أو ضعف. ومن ميزاته أن له القدرة على النفاذ حيث يريد، حتى ما لا يرى بالعين المجردة، أو ما يحظر دخوله أو الخوض فيه، بخلاف العلوم الإنسانية.

وإذا كانت العلوم الاجتماعية، كما حددها كارل بوبر، مباحث ازدهرت في المجتمعات المفتوحة، لأنها تحتاج إلى قدر من الحرية، ولو كان ضئيلاً، لإجراء البحوث الميدانية وإمكانية

تطلعات ثقافية عمانية في عام جديد

مسقط - في حفل تكريمي انتظم بمسقط قدمت رئاسة النادي الثقافي العماني البرنامج الثقافي لموسم عام 2020 الذي يحتوي على 39 فعالية مختلفة موزعة على مدار العام تقام بمقر النادي في القرم وفرعه بمحافظة مسندم إضافة إلى عدد من المواقع الأخرى.

وقالت الدكتورة عائشة الدرمكية عضوة مجلس الدولة رئيسة مجلس إدارة النادي الثقافي في كلمتها خلال حفل تدشين الموسم الجديد الذي أقامه النادي بمقره في القرم مؤخراً إن شهر يناير سيشهد إقامة ثلاث فعاليات تنطلق أولها يوم الثلاثاء 7 يناير باستضافة الشاعر سعدون قاسم في مقر النادي الثقافي بالقرم فيما يشهد فرع النادي الثقافي بمحافظة مسندم إقامة حلقة نقاشية حول تدوين تاريخ محافظة مسندم يوم الاثنين 13 يناير وتقام في مقر النادي الثقافي بالقرم يوم الثلاثاء 14 يناير حلقة نقاشية عن "الاتفاق الوطنية لمبادرات برنامج تنفيذي".

وأضافت الدرمكية أنه خلال شهر فبراير سينفذ النادي أربع فعاليات تقام الأولى يوم الاثنين العاشر من فبراير في محافظة مسندم يستضاف خلالها الدكتور عبدالحميد الأنصاري للحديث عن انفتاح التعليم الديني، فيما يستضيف النادي الثقافي في يوم الجمعة 21 فبراير الكاتب لطفي حجي على هامش مشاركة النادي في فعاليات معرض مسقط الدولي للكتاب 2020. وأيضا يوم الأربعاء 26 فبراير يستضيف النادي الكاتب أمين صالح للحديث عن فتنه النص، ليختتم فعاليات شهر فبراير بالإعلان عن الفائزين بجائزة أدب الخيال العلمي يوم الخميس 27 فبراير.

من جانبه قال محمد بن عبيد المسكري عضو مجلس إدارة النادي الثقافي في كلمة النادي إن عام 2019 كان حافلاً بالعديد من المناشط الثقافية كالمؤتمرات، والندوات، والمقالات، والحلقات، والورش، والملتقيات، والحوارات الثقافية والفكرية والفنية، حيث تجاوز عدد تلك الفعاليات ستين فعالية ثقافية متنوعة أقيمت بين جنبات مقر النادي الثقافي، وفي عدد من محافظات السلطنة، إضافة إلى برنامج الأنشطة الثقافية الذي نفذته فرع النادي الثقافي بمحافظة مسندم.

وأضاف المسكري أن النادي الثقافي حريص على أن تكون المشاركات في هذه الفعاليات والبرامج الثقافية متنوعة من خارج السلطنة وداخلها وذلك لتبادل الخبرات والأفكار ولتوثيق التعاون الثقافي والإرتقاء به، حيث شهد هذا الموسم مشاركات عربية من قطر واليمن والبحرين والكويت والمغرب وتونس ومصر والأردن والعراق والجزائر وسوريا.

بعد جلسة الإعلان عن برنامج العام الجديد شاهد الحضور فيلماً قصيراً لفعاليات وأنشطة النادي خلال الخمس سنوات الماضية ثم استمع الحضور بمقطوعات فنية متنوعة قدمت من مجموعة من الشباب المبدعين من مركز عمان للموسيقى التقليدية حيث شارك إبراهيم بن عبدالله البلوشي على آلة الكمان ومحمد بن راشد الغفيلي على العود وزايد بن م راشد الهنائي عازف إيقاع وحسناً بنت حسن العجمية على الفلوت.

ثم قامت المكرمة الدكتورة عائشة بن حمد الدرمكية بتكريم مجلة زوى بمناسبة احتفائها بإصدار عددها المثمة وتكريم الكوادر الوطنية من المثقفين الحاصلين على جوائز عالمية وعربية وهم: الدكتورة جوحة الحارثية لحصولها على جائزة سان بوكر الدولية والشاعر حسن المطروشي لحصوله على جائزة توليولا الإيطالية والدكتورة عزيزة الطائنية لحصولها على جائزة الشارقة لإبداعات المرأة الخليجية والشاعر حمود المخيني لحصوله على المركز الثالث بجائزة كتارا لشاعر الرسول والدكتورة وفاء الشامسية لحصولها على جائزة أفضل نص مسرحي ضمن عروض مهرجان الإمارات لمسرح الطفل.

وأوضحت رئاسة النادي أن شهر مارس يشتمل على إقامة خمس فعاليات تبدأ يوم الاثنين 9 مارس حلقة نقاشية تقام بمحافظة مسندم أهمها ملتقى مسرح الممثل الواحد (المونودراما)، ليواصل النادي فعالياته في شهر أبريل، حيث يقدم يوم الثلاثاء 7 أبريل ليواصل النادي فعالياته في شهر إبريل، حيث يقدم يوم الثلاثاء 7 أبريل ندوة عن "الخطاب الشعري العماني" بمقر النادي الثقافي فيما يعقد النادي يومي 14 و15 أبريل مؤتمر "الإعلام الثقافي: آفاقه ومختبراته"، كما يناقش مختصون تاريخ "مسندم في القرن التاسع عشر".

وواصلت الدرمكية عرض برنامج أنشطة النادي في شهر مايو الذي يهتم خاصة بالأطفال والناشئة ويقدم لهم عدداً من الفعاليات الخاصة والبرامج التي تتواصل إلى غاية يونيو وحتى 13 أغسطس.

ويكلم النادي الثقافي فعالياته شهر أغسطس بإقامة حلقة عمل خلال الفترة من 18 إلى 20 أغسطس عن "توظيف القصة القصيرة في المسرح العماني" بمقره في القرم، أما يوم الاثنين 24 أغسطس فسيفتح النادي بمقره في محافظة مسندم ملتقى "المرأة العمانية في نهضة عمان" والذي سيقام بمقر جمعية المرأة العمانية بحمص.

وذكرت الدرمكية أن فعاليات شهر سبتمبر تبدأ بندوة "من أعلامنا" تتحدث عن الشاعر والأديب إبراهيم



فنون في النادي الثقافي

والرواية لا تدعي العلم رغم أنها حاملة للمعرفة، ولكنها تقع هي أيضاً بين منزلتين، وإن كانت أقرب إلى العلوم الإنسانية، بفضل ما تتسم به من قدرة على الإلمام بالواقع وتفصيله، ونقد واقعه واستشراف آفاقه، فضلاً عن كونها أداة مثلى لقراءة العالم. والمبشرون بموتها، بسبب المستحذات التقنية المتواترة، ومزاحمة الشاشات، إنما يبشرون بفقدان الإنسان وسيلة لا غنى عنها لفهم العالم والإقامة فيه.

مارسيل بروسست وإميل زولا وأونريه دي بلزك أدباء أفادوا علم الاجتماع ومباحثه من خلال رواياتهم التي تغوص في أعماق المجتمع

